

حركة الشعر العربي الحديث : قيمها واتجاهاتها وتطورها

بقلم
عبد الواسع

الهوة السحيقة التي كان قد تردى فيها منذ عصر العباسيين المتأخر حتى بدء النهضة الأخيرة ، بتخليصهم إياه من آفات الصنعة اللفظية والصيغ البيدي التي قتله ، ومحاولتهم الجاهدة أن يعيدوا إليه ديباجته ألنأصعة التي كانت له في أوائل العصر العباسي . فانهم قد ساروا به خطوات واسعة في مجال التقدم حين انطلقوا إلى معالجة موضوعات اقتضتها ظروف الحياة الجديدة التي فرضت على الشعر أن يكون وسيلة من وسائل النهوض واليقظة القومية ، وأن ينسري أصحابه للدفاع عن الحريات ، ويقفوا في وجه الظلم ، ويشوروا على التأخر والجهل والجمود ، ويهدموا صروح الرجعية ، ويرحبوا بالحضارة الحديثة ويعتقدوا مبادئها وأفكارها ، وبذلك أضافوا لكتاب الشعر نصوصاً جديدة لم يشتهل عليها من قبل ، وهي الفصول التي باتت في ما بعد تضم الشعر الوطني والشعر الاجتماعي والشعر السياسي والشعر الذي دار حول مستحبات العلم ، وحاولوا مخلصين سد بعض الثغرات في ما جربوا أن يطالعوا به من الشعر التمثيلي والشعر الملحمي وشعر المثل الخرافي .

الا أن هؤلاء في ما قد أضاعوا من جديد يتعلق بموضوع الشعر ، لم يخرجوا عن حدود الأقدمين ورسم خطاهم في شكله . ولذلك ظلت تجربتهم غير مكتملة ، وظلوا تذك مفتقرين إلى الخيال والتصوير بدلا من الأخبار والتقرير ، وقاموا بوظيفة الداعية والخطيب أكثر من قيامهم بوظيفة أشاعر الفنان ، وانحصر أثر أشعر عندهم في الطرف المحلي الآتي من غير أن يمتزج بالشعور الوجودي الذي يخرج إلى الشمول الإنساني .

وقد تلا هؤلاء فريق من تأثر أكثر منهم بالثقافة العصرية أمثال أمجد الطرابلسي وأنور الطاهر في سورية ، وبشارة الخوري (الأخطل الصغير) وأمين تقي الدين ونقولا فياض والياس فياض في لبنان ، ومحمود غنيم في مصر ، والصافي النجفي في العراق ، ويؤلف هؤلاء مع خليل مطران شاعر القرنين مصر ولبنان الذي سبقهم جميعا ، حلقة بين شعراء التيار الأول الذين تحدثت عنهم عما قليل ، وشعراء التيار الثاني الذين سأتحدث عنهم الآن .

التيار الثاني ، وهو تيار الشعر الروماني الذي كان أول من دعا إليه المهجريون جبران ورفاقه ميخائيل نعيمة ونسيب عريضة وإيليا أبو ماضي ورشيد أيوب والمعلوفان فوزي وشفيق في مطلع القرن العشرين . وجماعة السديوان (المازني والعقاد وعبد الرحمن شكري) ثم جماعة أبولو الذين تلمسوا على مطران كأحمد زكي

الشعر العربي الحديث يقصد به في هذه الدراسة الشعر الذي انطلق بعد الحرب العالمية الثانية ، ثم أخذ في النمو حتى أصبح مدرسة أدبية ذات اتجاهات مختلفة .

ولا أظني مجانباً الصواب حين أسرع إلى القول أن الشعر الذي اعتدنا أن نطلق عليه في مدارسنا وفي جامعاتنا اسم الشعر الحديث ، ليس له من الحدأة ما تنسج له هذه الكلمة بمعناها الشامل الدقيق ، فالحدأة نقيض القدمة ، والحديث الجديد من الأشياء ، والحديث كونه الشيء لم يكن ، ومحادثات الأمور ما ابتدعه أهل الأسماء من الأشياء التي كان أسلف الصالح على غيرها . وهذه المعاني كلها لعلها تنطبق على ما ظهرت به حركة الشعر العربي الحديث في وثبها الأخيرة أكثر من انطباقها على ما ظهر من الشعر قبلها .

الشعر قبل الحركة الجديدة

مرّ الشعر قبل حركته الأخيرة بتيارين اثنين :

التيار الأول ، وهو تيار الاتجاه نحو بعث القديم وإحيائه والنسج على منواله ، وكان ذلك بسبب انتشار الوعي القومي في البلاد ، وما صحبه من رد فعل ضد نزعة التريك التي نادى بها جماعة من العثمانيين الأتراك . ونتيجة لذبوع المعرفة والعلم بين الناس واطلاع العرب على التراث عن طريق نشر المخطوطات القديمة الذي أعقب ظهور الطباعة وانتشار الصحافة والنوادي والجمعيات الأدبية .

وقد تزعم هذا التيار محمود سامي البارودي وإبراهيم ناصيف اليازجي اللذان كانا المهديين لانطلاقة أخرى حمل رايتها أحمد شوقي وإسماعيل صبري وحافظ إبراهيم وأحمد محرم ومحمد عبد المطلب وعلي الجارم ومحمد الأسمر في مصر ، والشاذلي خزنة دار في تونس ، ومحمد سعيد العباسي في السودان ، وأنرصافي والزهاوي والكاظمي والشببيان رضا وباهر وخيري الهنداوي ثم محمد مهدي الجواهري في العراق ، وفؤاد الخطيب وتامر الملائق وشبلي الملائق ووديع عقل في لبنان ، ومحمد البزم وخليل مردم وخير الدين الزركلي وشفيق جبيري ومحمد سليمان الأحمد (بنوي الجبل) في سورية ، ومصطفى وهبه التل وعبد الرحيم محمود وعبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) في الأردن وفلسطين .

ويمكننا القول أن البارودي واليازجي قد سجلا فضلا لا ينكر في نهضة الشعر وتخليصه مما علق به من شوائب الضعف والركة خلال عصور الانحطاط .

أما شوقي وأقرانه ، ففضلا عن إسهامهم في إنقاذ الشعر من

قديم منقول عن واقع العين والنظر يراد به عقد مماثلة بين مشهدين في الخارج ، الى تشبيه حديث منقول عن واقع النفس والظلال الشعورية يراد به التعبير عن واقع الاشياء في الوجدان دونما نظر الى التماثل الخارجي .

غير ان الذي يجدر بنا ذكره - ونحن بصدد تقييم الحركة الرومانطيقية في الشعر - هو ان هذه الحركة على الرغم من الشوط الذي قطعت في مجال التجديد فان تجديدها ظل في حدود اللفظ والمعنى ولم يتجاوزهما الى القالب او الشكل .

بلى انتفع عدد من أفرادها ، وبخاصة اللبنانيون منهم ، بخصائص البحور ، وامر جزئها ومنهوكها ومشطورها وامتزاج الاجزاء بعضها ببعضها الآخر ، فخرجوا على النظام التقليدي للوزان وطريقة توزيع تفعيلاتها ، وانكروا وحدة القافية ، ثم ساروا في تقصير اشطر البحور ، فوقفوا عند الحد الذي اختاروه من اجزائها ، حتى لقد اصبح الشطر عندهم في احيان كثيرة تفصيلة واحدة ، وهو ما نلمسه بوضوح عند الشاعر المهجري نسيب عريضة والشعراء المصريين لويس عوض وخليل شيبوب وعلي احمد باكثير ، ومعظم شعراء لبنان من نقولا فياض الى فؤاد الخشن .. الا انهم في ما فعلوه لم يتوصلوا الى تغيير بنىة القصيدة وتصميمها الهندسي او بنائها بناء عضويا ، وظلوا يفهمون من وحدتها وحدة الموضوع لا وحدة الشاعر وما تستلزمه هذه الوحدة من ترتيب الصور والافكار ترتيبا تتقدم به القصيدة شيئا فشيئا حتى تنتهي الى خانة يستلزمها ترتيب الافكار والصور ، وبهذا ظل الشكل عندهم شكلا يتحرك ضمن اطر الوشاحين من مقاربة واندلسيين .

وانني ينبغي عن هؤلاء الشعراء توصلهم الى التجديد البالغ الكمال لا انفي عنهم اثرهم الذي احدثوه في من جاء بعدهم من الشبان الذين فتحت مواهبهم ونمت ملكاتهم في ظلانهم امثال كاتب هذه السطور وميشال بشير وعاطف كرم وغنطوس الرامي وجوزف نجيم وفؤاد الخشن ومصطفى محمود وجورج غانم في لبنان ، ونزار قباني ووصفي قرنغلي وشوقي بغداد في سورية ، وصفاء الحيدري وحسين مردان وكريم الوتري وعبد القادر رشيد الناصري فسي العراق ، وحزوة شحاتة ومحمد حسن عواد وطاهر الزمخشري وحسن الفرشي فسي السعودية ، ومنور صمداح ومحمد العروسي الطوي ومحمد العربي صمداح في تونس ، ولطفي جعفر امان وابراهيم الحضرائي واحمد الشامي وعبدالله البردوني في اليمن ، ومجيب الدين صابر وحسن عزت في السودان ، وكمال نشأت في مصر ، وفدوى طوقان في فلسطين ، وامثال رواد الشعر الحر انفسهم في الفترة الاولى من حياتهم . وبين هؤلاء الشعراء من تطور ولحق بركب الحركة الجديدة ، وبينهم من هجر الشعر ، وبينهم من توقف عند حد الموجة الرومانطيقية ولم يتجاوزها الى ما بعدها .

تباشير الحركة الجديدة وروادها الاوائل

بعد سنة ١٩٤٥ خرج العالم من الحرب الثانية بمجموعة من الظواهر سجل فيها عقب انتصار الديمقراطية على النازية وتوامها الفاشية دخوله في طور حضاري جديد هو طور الانسان العادي والعالم الواحد ، وقيام مقاييس وقيم جديدة لم تعهد من قبل ، واختلاف جميع نواحي الحياة عما كانت عليه في الماضي ، او تبدلها وتكيفها وتمهيدها السبل لخلق نوع جديد من الناس هو ما نسميه الانسان الحديث .

وقد اثرت هذه الظواهر في المنطقة العربية التي اخذت تتسرب اليها روح العصر عبر انواع من الثقافات التي انتشرت بعد الحرب ، كالثقافة الوجودية والثقافة الماركسية ، ولم يكن بد من ان يفعل هذا التأثير فعلة في مجموعة الادياء الذين ولدوا بين الحربين ، ويسير لهم الاطلاع على الادب العالمي بلغته الاصلية بواسطة الجلات والكتب التي

ابو شادي وابراهيم ناجي وحسن كامل الصيرفي ومحمود حسن اسماعيل ومحمد عبد المطي الهمشري وصالح جودت ومختار الوكيل وعلي محمود طه في مصر وابو القاسم الشابي في تونس والتجاني يوسف بشير في السودان وعمر ابو ريشة ونديم محمد في سورية ثم نفر من لبنان وطن المهجرين الام امثال اديب مظهر ويوسف غصوب والياس زخريا ورشدي المفلوح ، وسعيد عقل وصالح لبكي وامين نخلة والياس زخريا ورشدي المفلوح ، وبعض هؤلاء اصطبغ شعرهم في ما بعد بصبغة الشعر الرمزي الذي كان من اشد دعائه الشاعر سعيد عقل . وليس هنا مجال مناقشتهم في مقدار حظ شعرهم من الرمزية او البرناسية ، وما اذا كان هذا الشعر رومانطيقيا في الاصل تلون بالوان الرمزيين والبرناسيين الذين قرأهم شعراؤنا وتعصبوا لهم ونقلوا اليها وجهة نظرهم فسي الشعر وطرأهم في التعبير .

ويمكننا ان نعد شعراء هذا الدور الطلائع التي مهدت لحركة الشعر العربي الحديث باعتراف زعماء الحركة انفسهم ، وأبرز ما طالما به هؤلاء الشعراء :

- ١ - نفورهم من التقليد واحتجاجهم على اساليبه التي تقيسد الحرية ولا تترك مجالا للابداع المتكرر .
- ٢ - انصرافهم عن انقضايا العامة الى التجارب الشخصية وتلقائيات الذات .
- ٣ - مناداتهم بوحدة القصيدة بدلا من وحدة البيت ، والادب المهموس بدلا من الادب المنبري .
- ٤ - توثيقهم الصلة بين الشعر وغيره من الفنون الجهيصلة ، ونظرتهم اليه على انه قيمة انسانية لا قيمة تسانية ، واعتقادهم بان كل شيء يصلح ان يكون موضوعا له .
- ٥ - اطلاقهم العنان للمواضع وتعريضهم الشاعر والاحاسيس وسموهم بالحب سموا يبلغ حد التقديس .
- ٦ - دعوتهم الى تجاوز افق المحسوس الى ما وراء الحس والسكن في قلب الاشياء .

وقد كان الدافع الى هذا كله : رد الفعل للجمود الذي عاش فيه شعراء التقليد ، ونمو الطبقة المتوسطة واحساس المتعلمين من ابنائها بغواتهم ، ونشوب صراع بين هؤلاء وبين مجتمعهم الذي عاشوا فيه ، وشعورهم بضغط القرينة والكتب والضياع والقلق على المصير ، واصابتهم بما نعي في أوروبا « مرض العصر » ، وفشل اكثر ثورات طبقتهم ، وتبليل ظروفهم السياسية والاجتماعية التي تشاوا فسي ظلالاتها ، يضاف الى ذلك عوامل اخرى لم يكن من سبيل لنجاتهم من التأثير بها ، وهي : اتصاليهم بالثقافة الانكليزية في مصر والسودان ، والفرنسية في لبنان ، وعيش قسم منهم في بيئة جديدة في المهجر اطلعتهم على ما لم يكن لهم اطلاع عليه ودفعتهم الى اتخاذ هذه المواقف .

وقد اثمرت مواقفهم هذه نوعا من الشعر انجبه به اصحابه الى تحقيق وحدة القصيدة والاستناد فيها الى الخيال اكثر من الاحساس المباشر ، والزرع بين الحواس على طريقة الرمزيين ، وتحليل عواطف النفس ووصف حركاتها ، والتصرف بالاوزان باجتزائها شأن الاندلسيين على نماد اكثر ، وتحميل الكلمات فوق ما تعودت حملة بالاعتماد على الشائع منها والوحي والذي يحمل احيانا معنى الرمز .

وقد وقفوا كذلك الى اقامة الانسجام بين اللفظة والحس الذي تبر عنه ، وحولوا المعنى الى صور واطياف تزيد في التأثير ، وتوسلوا الى ابراز الفكرة بوصف الطبيعة وتوليد الصور منها بقوة ابداعية ، فضلا عن اتخاذ شعرهم لون الروح التميززة لكل شاعر ، وتجاوزهم فيه احيانا قضايا الذات الى واقع اشياء الوجود ، وعرضهم الذات والرؤى التي تكاد تكون مرضية ، وتطورهم بالتشبيه من تشبيه

كانت تنقل ترجمات له ، فاذا نحن امام تيار أدبي متميز طبع علينا من العراق هذه المرة ومنه انتقل الى البلاد العربية ، وكان معظمه من الشعر الذي اشتهر في ما بعد باسم « الشعر الحر » .
ما هو الطابع المميز لتحركة الشعر الحر ، وما قيمها التي ارتكزت عليها يوم ظلمت في مهدها في العراق سنة ١٩٤٧ بزيادة نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي وبلند الحيدري ؟

لن اذكر الخصائص التي تشترك فيها هذه المدرسة مع سابقتها . من مثل عدم التقيد بقافية واحدة او بحر تام ، والتخفيف من عبء الالفاظ القاموسية والجماليات الشكلية ، واستخدام الصور كاحدى الوسائل الفنية للتعبير عن المعنى تعبيرا موحيا لا تقريبا زاعقسا ، وغيرها من الخصائص التي اصبحت بها اشعار جماعة الديوان والهجري وأبوللو والمدرسة اللبنانية ، ولكنني سأحاول الافتصار على ما تفرقت به مدرسة الشعر الحر دون سواها في العقد الاول من حياتها .

الخصائص التي تتميز بها قصائد حركة الشعر الحر من حيث الاسلوب هي التالية :

الخاصية الاولى ، وهي خاصية تحقيق وحدة انقصيدة ونموها العضوي وبنائها بناء ذويا مستمدا من تفتيه القصة وفي الدراما الحديثة وما يستتبعه هذا الفن من انوعي الكامل بيدنها ووسطها وختامها ، والتعبير عن التجربة وهي تتشكل ونمو مرحله أثر مرحله متأثرة بحركة الزمن ، متطورة من قلبها ، والانعطاف بها نحو التحليل بدلا من التركيب ، وادخال اسلوب الحوار ومقومات الحكاية واستعمال لغة الحديث وهي صفات عادت على انقصيدة الحديثة بالفلسواند التالية :

١ - خلصتها من التركيب البنائي المسطح ذي البعدين ، وجعلتها متماسكة الاجزاء بحيث لو قدمت وأخرت في ترتيب ابياتها لاختلفت او لفقدت جزءا كبيرا من تأثيرها .

ب - مكنتها من تقديم التجربة ذاتها لا خلاصتها ، بتصوير كل الجزئيات وابرز العناصر والجنور التي تساعد على نقل المعاني الى جو الحدث وعالمه اناخر بالحركة وبالانفعال .

ج - ادخلت فيها لغة الحوار وجعلتها تتسع للقصة والدرام بمفهومها الفني .

د - وجهتها نحو الاعتماد على الشخصيات بتحليلها على هيئة ملامح تومى الى كيان خاص .

هـ - فرضت عليها التعامل مع اكلمات على اساس اندماجهما بالحياة وتردها على الافواه .

ويمكن استخلاص الشواهد من أيديوان شئت من دواوين السياب ونازك وبلند وعبد الوهاب البياتي .

الخاصية الثانية : وهي خاصية تلاؤم الشكل مع المضمون والنمو معه نموا حيا متفاعلا ، ينظر فيه الى امتداد المعنى وانقباضه ، وتشكيل القصيدة التشكيل الذي تقتضيه اندفاعة الشعورية ومرعاة ذوق العصر وحساسيته ونبضه ، وانتقال المجتمع من البيئة البدوية المحافظة ذات الطابع المحفلي الذي يعتمد على الخطابة وابعاعها المجلجل الرتيب ، الى البيئة المتحضرة التي يقوم فيها اشعر بوظيفة التأثير في الناس عن طريق القراءة وما تعتمد عليه من همس وايحاء لا عن طريق الالقاء .

وقد أدت هذه المبادئ الى ايقاع جديد عماده اقامة القصيدة على « التفعيلة » بدلا من « الشطر » وتحطيم استقلال « البيت » والقضاء على عزله ، من اجل دمجها مع الابيات الاخرى في بناء فني متماسك ، والتحول عن الموسيقى التي تعتمد على الاذن وحدها الى الموسيقى التي تعتمد على كيان النفس الحساسة كله ، واعطاء الاهمية القصوى للموسيقى الداخلية التي تسرب من اعماق الشاعر في أمواج

عفوية أصيلة لتطفي على التقطيع الخارجي ، وتغطي القصيدة نوعا من العمق النغمي أمتسع الاصيل ، وهذا ما جعل الحركة الموسيقية تنمو من كل الابيات في القوافي الداخلية - وهو ما تميز به بلند الحيدري على الخصوص - لا أن تتركز في نهايتها بتعاقب . وهو ما أدى بالتالي الى اتحاد الشكل بالمضمون .

الخاصية الثالثة : وهي التعبير بالصور تعبيرا بنائيا يجري وراء الصورة الرمز او الصورة الشيء أي الصورة المركبة بدلا من الاوصاف والتشابه والاستعارات ، ويؤثر اللفظ المتداول الذي يحمل ارتباطات شعبية عامة ، ويتوخى البساطة التي يستمد منها من بساطة الارياف وأساطيرها وحكاياتها وفولكلورها انفي بالتعابير والصور والرموز . وحد نشأ عن هذه الخاصية :

١ - ان الصور أصبحت نسيجا موحدا بعد أن كانت تقوم في كثير من الشعر القديم على الاستقلال او التفكك . وباتت تشارك في تنمية العمل الفني تنمية داخلية ، بعد أن كانت معزولة عن سياقه ، وتقصد لذاتها . وهم تعد لتلقت في حالسة من الجمود ، بل عبر حدودها وتحركها ، وصار الشاعر يعانيتها معاناة ولا ينقلها نقلا أي انها باتت تنبت من عواطفه وولده مع وجدانه لا من محفوظات ذهنه .

ب - انها اغنت بكثير من الاشارات والرموز الاسطورية والدينية التي اخذ شعراء هذه الحقبة يستخدمونها بوفرة ليستفيدوا مما فيها من ابعاد قديمة ، وفيهم متراكمة ، وليعطوا بوساطتها فصاندهم عمقا اكثر من عمقها الظاهر ويمنحوها معنى جديدا تستمد من التجربة الشعرية التي تلتمح بها ومن السياق الخاص ، او ليؤكدوا صلتهم بجمهور قرائهم بواسطة الاشارة اليها ، وهو ما عمد الى فعله بدر شاكر السياب على الخصوص جريا على سنن الشعر انقربي كما صرح هو نفسه .

ج - ان لغتها اكتسبت ملامح لغة الحديث العادي ودفته وما يتمتع به من الة لملها اكثر ما كان يحتاج اليه الشعر العربي لتعود اليه حيويته ولتكون له القدرة على حمل نبض عصره والنفاذ بمضامينه الى قلوب قارئيه .

هذا بما خص الشكل ، واما المضمون فانه يتراوح بين نوعين :
١ - النوع الذاتي الرومنظيفي انطم بالشعر الوجودي والشعر السريالي الذي يفيض مضمونه بالالم والشعور بفراغ انفس أهله ووحدتهم الروحية وسأمهم من الحياة وضجرهم من سيرورتها ورتابتها وقلقهم على المصير وایمانهم بانهم وهو ما تفصح عنه قصيدتنا « العقم » و « ساعي البريد » لبلند الحيدري في ديوانه « أغاني المدينة الميتة » وقصيدة « مسافر بلا حقائب » لعبد الوهاب البياتي في ديوانه « اباريق مهشمة » وقصيدة « جامعة الظلال » لنازك الملائكة فسي مجموعتها « شظايا ورماد » .

وقد نما هذا النوع خلال الحرب الثانية على أيدي هؤلاء الشبان الذين فتحوا أعينهم على الوجود فلم يجدوا فيه ما يسر ، رأوا الجمود والعذاب والصرامة وانترمت واللفظ وكبت العواطف ، فانسحبوا من الواقع ولم ينسحبوا معه ، وراحوا يمارسون اليأس ممارسة أدبية وفلسفية تستمد عناصرها من « سارتر » و « كامو » .

٢ - النوع الواقعي الحديث او الواقعي الاشتراكي : الذي يتجه اصحابه الى الحياة ويحتفلون بالواقسح لا يعرضوه ويصوروه ولكن ليتقدوه ويغيروه مستوحين ايدولوجيتهم التي تؤمن بالانسان وبجسده وبارادة الحياة الكامنة في أعماقه ، وتحرص على اظهار نواحي الخير والتفاؤل الى جانب تلك النواحي القاتمة التي ترد اكثرها الى فساد النظم والحياة لا الى خلل في طبيعة الوجود .

واصحاب هذا الاتجاه يختلفون بانناجهم عن الذين سبقوهم ، فبينما نحن نرى الذين جاءوا قبلهم يختلفون اما بالموضوع دون الذات على طريقة التقليديين ، واما بالذات دون الموضوع على طريقة

ويجدر بنا ان نذكر انه قد نشأ الى جانب البياتي شبان عديون حملوا معه لواء هذا الاتجاه امثال سعدي يوسف ، وعبد الرزاق عبد الواحد ، ومحمد سعيد الصكار ، وموسى النقدي ، ولن نذكر الردييين الذين وقعوا في الهتاف والمباشرة اذ هم كثر .

وان الامانة العلمية لتقنيني وأنا أختتم الحديث عن تباشير الحركة وروادها الاوائل ان أسجل هذه الحقيقة وهي انه في الوقت الذي كانت تنمو فيه حركة الشعر الحر في العراق كانت تولد في مصر حركة مماثلة اضطلع بريادتها الشعراء كمال عبد الحليم وعبد الرحمن الشرقاوي ونجيب سرور ومحمد فوزي اتعنتيل واحمد كمال زكي وصلاح عبد الصبور .

كان لاتجاه حركة تحرر الشعر من اوزانسه وفوافيه او قوالبه القديمة في الديار المصرية رواد قبل هؤلاء حاولوا نظم الشعر المرسل امثال لويس عوض وخليل شيبوب وعلي احمد باكثير كما ورد في مطلع هذا الكلام ، وانكتم لم يتمكنوا من تفجير الحركة على نحو ما فجرها عبد الصبور ورفاقه الذين كانت حركتهم متساوقة مع حركة الشعر الحر في العراق شكلا ومضمونا . ومن هنا فان الخصائص التي أوردتها في السابق على انها خصائص مدرسة الشعر الحر العراقيه يمكن انطباقها على شعر المصريين كذلك .

ولا أنسى وأنا أطوف بفكري في البلاد العربية ان الفت النظر الى ان هذه الحركة قد كانت لها أصداء في الشعر السوداني وان الشعراء : تاج السر حسن ، وجيلي عبد الرحمن ، ومحبي الدين فارس ، ومحمد الفيتوري وصلاح احمد ابراهيم كانوا روادها هنالك .

حركة مجلة شعر

وبعد عشر سنوات من بزوغ شمس الشعر الحر في العراق وسطوعها في انبلاذ العربية ، بأشكالها المتحررة من عبودية القافية ونظام الشطرين ومضامينها المستمدة من الواقعية الاشتراكية والفكر الماركسي ، اجتمع في بيروت عدد من المثقفين الذين ينتمون الى الحزب القومي السوري او القومي الاجتماعي ، وأصدروا مجلة أطلقوا عليها اسم « شعر » واسسوا ندوتها التي عرفت باسم ندوة خميس مجلة شعر . وكان من أركان هذه الندوة او اقطابها العاملين الذين يتخلق الشعراء يوسف الخال رئيس التحرير وأدونيس المدير المسؤول ، وكان من بين مرديها انسي الحاج وعصام محفوظ وشوقي ابو شقرا وخالدة سعيد ومحمد الماغوط وظلال حيدر ، ومن بين التعاطفين معها خليل حاوي وجبرا ابراهيم جبرا وبدر شاكر السياب وتوفيق صايغ وفؤاد رفقا وسلمى الخضراء الجيوسي وخيري الضامن ورزوق فرج رزوق وسواهم .

صدرت مجلة « شعر » وفي مستهل المسدد الاول منها كلمة لارشيبولد مكليش أحد رواد الشعر الاميريكي يبين فيها ان علاقة الشعر بالحياة هي العلاقة التي وصفها أرسطو ، والتي عاد اليها ورسورث ولو بشيء من الفرق ، أي ان الشعر وسيلة للمعرفة من نوع ما ، وان الذين يمارسون في الادب كتابة الشعر السياسي او يحاولون حل مشاكل عصرهم بقصائدهم ، ليس عليهم الا ممارسة فنهم من اجل اغراض فنهم وبمستلزمات فنهم فقط .

وشن اول هجوم لاقطاب هذه الحركة على تراث لبنان الشعري السابق لها . شنه رئيس التحرير يوسف الخال من على منبر الندوة اللبنانية ، وخص فيه الشاعر سعيد عقل الممثل الاچود له بالنصيب الاكبر من سهامه . اختار قصيدة من سعيد عقل وقصيدة من عمر بن ابي ربيعة وقابل بين الاثنين وبين انها ليستا مختلفتين من حيث وحدة البيت ، ومن حيث التزام الوزن الخليلي والقافية الموحدة ، والنظرة الى الموضوع . . وخلص الى القول : ان شعر سعيد عقل وشعر الذين عايشوه كصلاح لبكي وأمين نخلة هو شعر متخلف عن روح العصر

الرومنطيقيين ، نرى هؤلاء يحتفلون بالفرعين معا ممتزجين ، يحتفلون بالذات ويحتفلون بالموضوع ، ويربطون المحلي الخاص بالكوني الشامل ، ويقفون الى جانب العلم والتاريخ في تادية مهمتهما منادين بان لا حرية للفرد الا بتحرر الجموع ، وان بحث المرء عن سر العادة او الشقاء ليس في داخل ذاته وانما خارجها ، اذ النظرة اتي الذات يجب ان لا توجه اليها كمنصر مستقل ، وانما كجزء من وضع اجتماعي واقتصادي من شأنه اذا تغير ان تتغير الاسباب التي تعكس في النفوس الحزن والالم والشعور بانقرية والضيق والوقوع في دوامة السأم . وهذا يظهر في اشعارهم التي نرى فيها هذا الدق الدائم على أوتار الدعوة الى اتحرر من أوهام القديم ، ومحاربة روح اليأس والخوف والمرض والايمان بالتطور والانسان وقدرته على حذف الواقع وتبديله والسيطرة على الطبيعة والتحكم بالمصير .

وهؤلاء بما ذكرنا يتميزون بمميزات عديدة أهمها :

- أ - فهمهم التجربة الذاتية في ضوء الواقع الانساني العام لا في عالم الذهن المجرد .
- ب - جمعهم بين حقائق الوعي الاجتماعي وحرارة الانفعال الشخصي .
- ج - نفاذهم الى جوهر القضايا وطرحهم انفتائية بمفهومهم - الرومنطقي وتطويرهم المضامين من الوجدانية الخالصة الى ما يمكن ان يسمى الوجدان الفكري الذي يساير التقدم العلمي العالمي .
- د - نزوعهم الى العالية في اغراضهم وموضوعاتهم ، واهداف حواسهم صوب معارك التحرير الدائرة لا في انحاء اوطن العربي فحسب بل في العالم بأسره . وتمثيلهم باشعارهم في الوقت نفسه جماع خصائص بلادهم وقسماتها وخصائص الانسان الحي فيها واشكاله في نضالاته وهزائمه وجهه .

وقد نما هذا الاتجاه في أعقاب سنة ١٩٤٨ وهي السنة التي خسر فيها العرب فلسطين ثم اتسع نموه على اثر ما سار في بلاد العرب يومئذ من موجات التحسس بالواقع ، والشعور بضرورة التنبئة ، تمبئة جميع القوى الواعية لتسير في طريق الحرية والخلاص ، ونتيجة لارتفاع صيحات كثيرة تدعو الادب للمشاركة في النضال مع الشعب في معاركه ، ونحت الاديب على ان يحمل حظه من المسؤولية الاجتماعية والوطنية والانسانية وتبشر ب « ادب للحياة » او « الادب في سبيل الحياة » وتكر ان يكون « الادب للادب » او الادب لذاته او « الفن من أجل الفن » .

وقد غذى هذه الحركة كتب كثيرة انهمرت على البلاد العربية من لبنان ، وهي تمثل هذا الاتجاه في مراكزه ، وكان اكثرها مترجما عن الادب الاجنبي . امثال : « الام » نفوركي ، و « الحرب والسلام » لتولستوي و « اشعار من مايكوفسكي » ، و « طريق الحرية » لهاوارد فاست ، وبافات « من شعر ناظم حكمت » ، و منتخبات « من شعر بابلو نيرودا » ، وغيرها من الكتب التي اضطلع بأعباء نقلها الى العربية أفراد لبنانيون ألفوا في مبدأ أمرهم أسرة أدبية سموها « أسرة الجبل الملهم » ثم ضموا الى « رابطة الكتاب العرب » التي تألفت في سورية ، وبعثت النفوا حول مجلة « الثقافة الوطنية » التي كان يشرف على تحريرها الناقدان حسين مروة ومحمد ابراهيم دكروب ، وكان هؤلاء موظفين أنفسهم للتبشير بحركة الشعر الحر بمضمونها الثوري الذي ولد في العراق ومنه انطلق الى البلاد العربية ، وكان من حملة لوائه بدر شاكر السياب في الفترة الثانية من حياته التي أنتج فيها « الاسلحة والاطفال » و « المومس العمياء » و « حفار القبور » و « انشودة المطر » ، وكاظم جواد في عدة قصائد نذكر منها « الاطفال والمجزرة » و « هي والحربة والآخرين » ، ثم عبد الوهاب البياتي الذي اصبح الممثل الاكبر له حتى بداية الستينات في دواوينه « اباريق مهشمة » و « المجد للاطفال والزيتون » و « اشعار في المنفى » .

العالم اللغوي الخاص بالشاعر محلها ، وبالوقوف ضد الواقعية وموجة التقدم الاجتماعي والعمل لصالح الجانب ، بحاربتها الالتزام وتصديها لفصل الشعر عن السياسة (السياسة في نظر الجماعة وليدة بأس الشعر) وبعملها الدائب على ما سمي بفرس السلية في وجدان القارئ والسخرية من كل القيم والتدله بهوى الموت وقوى الانهيار والتأكيد على قبح العالم .

وقد حمل « مضبطة الاتهام » وقذف بها في وجوههم التوفيقون العرب الذين كانوا قد اتكفوا من مجلة « الآداب » اللبنانية منبراً لهم ، والواقعيون الاشتراكيون الذين أمعنوا ثورتهم عليهم في كل مجسلات العالم العربي ، مما سبب منع دخول مجلتهم لكثير البلدان العربية ، وعاد عليهم « بالهرم » العربي ، بعد « الحرم اللبناني » ،

غير ان الموضوعية تقتضي وقد مضى على حركة مجلة « شعر » اكثر من خمسة عشر عاماً ، اضطرت في انائها مجلتها للتوقف سنتي ١٩٦٥ و ١٩٦٦ لتستأنف الصدور عام ١٩٦٧ وتحتجب من ثم عن الظهور بصد سنة ١٩٦٩ حتى اليوم ، أقول أن الموضوعية هذه تقتضي ان اكون منصفاً فاسجل لجماعة « شعر » هؤلاء نواحيهم الإيجابية التي عادت على حركة الشعر الحديث بالخير ، برغم السلبات العديدة التي يمكن ان تنسب اليهم . وهذه النواحي يمكنني اختصارها في عدة امور أهمها :

١ - رفض الزخرف اشكلي وأسهه التي كانت متجذرة في لبنان ، بل رفض الجمال غاية في ذاته ، ومحاربة الرومنطيقية الواقعية التي عدوها مرضاً .

٢ - الافتتاح على الشعر في العالم وتقديم حوالي ٤٧ دراسة لشعراء عالميين أمثال بيرس واليوت وارنو وأزرا بوند ودبلان توماس وولت ويتمان وروبيرت فروست وأندريه بريتون وآرافون وريكه مع نماذج مترجمة لاشعارهم .

٣ - دعم الاتجاهات الحديثة ومساندة النظرات الجديدة التي كانت مقبلة بتريدد وطرح عدة أسئلة وتشكيل مركز استقطاب للسؤالوات والتحركات واتجاهات البحث ، وتقديم الآراء الأوروبية في نقد الشعر ، بقصد تعميق الثقافة الشعرية لدى القارئ العربي .

٤ - فتح الصفحات الى نتاج الشباب وتقديم حوالي ١٢ دراسة نقدية لمجموعات شعرية عربية ظهرت في تلك الحقبة .

٥ - طوعها بالقصيدة الحرة « قصيدة النثر » التي اكتسبت على أيدي انسي أنحاج ومحمد الماغوط وادونيس ومن جاء بعدهم صفة الرؤيا التي تخترق العالم وأشياءه بلا عوائق ، والتي تسهم في حوار الخلق وتنادي بان الشعر لا يعرف بالوزن وبالقافية وحدهما وإنما بالموسيقى الداخلية النفسية التي تبعث حية صمت الأشياء من مرقدها ، وبلغته التي تستخدم دلالات الكلمات المعنوية لا حرفية صلتها بالارض والواقع ، والتي تجهل الاستقرار وتنفجر في طاقات جديدة غير مألوفة في أشعر الموزون ولا في الشعر الحر ولا ما كانوا يسمونه المنثور ، والتي يتخذ فيها الشاعر صفة النبي والمرآف والشاعر الحر المطلق ، والانسان الملعون في جسده ووجدانه ، الضائق بالوجود ، والذي لا يضطجع على ارت الماضي ، والذي هو المكثف بالعالم الداخلي وتوتراته السحيقة ، والمنشطر الذات وحيدا امام حياته والوجود نفسه وجسده وموته .

« أتعمر على طريقتي - ارى ابدله وارفعه حكمة هدياني : لن - يا جدار العيون ، أيهما الوعود لن ! يا آخر كربة ، أنت هو الشلال - بك افتح النظر وأختتمه ، فيك ازعق وارقص - يا يدي على السر - على الشمس لن ، على صخرة اليوم الثالث ، على الدم .

ارخيتني يا قشة البحر ، لم ترخيتني ، لا فرق . أغرق فهذا هو . أغرق أو أخلق ، او انام لا وجهة لا وجهة استوطن العافية ،

الذي يعيش فيه اصحابه ، ورد ذلك الى تكلف العقل في لبنان كما في البلاد العربية ، وتزوم هؤلاء الشعراء حدود الرومنسية التي كانت رائجة في أوروبا في القرن التاسع عشر ، وعجزهم عن اللحاق بركب الشعر العالمي الذي اغتنى بين سنتي ١٩٢٩ و ١٩٤٩ بتجارب لا تحصى واصبح له مذاهب متعددة احدهما واقعي والاخر تصويري رمزي فرويدي او سيرالي او نيو رومنسي .

وكانت محاضرة يوسف الخال هذه هي العلامة الفاصلة بين عصرين في حياة الشعر اللبناني : عصر المنسحين على أذبال رومنطقي القرن التاسع عشر في أوروبا ، وعصر المتطلعين نحو حضارة القرن العشرين وهي حضارة يسودها روح العلم وتغير النظرة الى الوجود واعادة النظر في المعتقدات والانظمة الموروثة ، ويمثلها في العالم شعراء امثال بوند وجويس وبروست واليوت وايدت ستويل ودلان توماس واندره بريتون ، ومريدون لهم في البلاد العربية امثال السياب والبياتي ونسازك في العراق ، وفؤاد رفقة وادونيس ونذير العظمة في سورية .

وقد حدد يوسف الخال يومئذ الاسس التي يرتهن بها قيام شعر « طليعي تجريبي » في لبنان بالتعبير عن التجربة الحياتية على حقيقتها كما يعيها الشاعر بعقله وقلبه ، واستخدام الصورة الحسية ، وابدال التعبيرات القديمة بمفردات جديدة ، وتطوير الايقاع الشعري العربي على ضوء ما جدت من المضامين ، ووعي التراث الروحي العقلي العربي وفهمه على حقيقته ، والفوص الى اعماق التراث الروحي العقلي الاوربي وفهمه والافادة من تجارب شعراء العالم والامتزاج بروح الشعب لا بالطبيعة ، وهي خصائص وصفات لا تختلف بمجملها عن خصائص شعر الحركة في العراق .

وقد خلقت محاضرة يوسف الخال في لبنان ردّاً فعل شديداً ضدها اتهم على اثرها جماعة « شعر » بلبنانيينهم وبترويج الادب الانكلوسكسوني والعمل لصالح الانكليز والاميركيين الى آخر ما قيل .

غير ان جماعة شعر مضوا في طريقهم ، وقد لوحظ تراجعهم في ما بعد عن تبني الاسس التي وضعها الخال من حيث وعي التراث الروحي العقلي العربي وفهمه ، والتعبير عن التجربة الحياتية ، والامتزاج بروح الشعب ، واتخذت حركتهم شكلاً آخر دعوا فيه الى الرفض المطلق للتراث والشكل والرؤية الفكرية والاتصال برويا الشعر في العالم لا بواقفهم الخاص ، والثورة ضد اللغة العربية واعتبارها لغة ميتة ، والتأكيد على ان الاثر الفني يحمل قيمة في ذاته ، وان الشعر يجب ان لا يوظف للقيام بأي دور ، وان صفة الجديد فيه يحسن ان تتناول مضمونه لا شكله ، وان المضمون يجب ان يكون استكشافاً للذات لا تعبيراً عن قضايا المجتمع ، وان الشكل يجب ان يحرر من جميع القيود والشروط ، فلا قواعد عروضية مسبقة ، ولا حدود تقف حائلاً بين الشاعر وبين الابداع . القواعد والحدود ، يقول منظرو حركة « شعر » ، تستمد من نوق الشاعر السليم ومن تراث الحضارة الشعرية ، ولذلك فقد اتجهوا نحو قصيدة النثر ، وعبوها تمرداً أعلى في نطاق الشكل الشعري ، وكان من أبرع حاملين لدعوتهم ادونيس وزوجته خالدة اللذان قاما مع يوسف الخال بدور مفلسفي الحركة ، وقد نشر لادونيس في ذلك الحين مقال بعنوان « محاولة في تعريف الشعر الحديث » سفته فيه الذين يقولون بالواقعية ، ونادى بضرورة عدم ارتباط الشاعر بزمان ومكان ، ووجوب تخلصه من كل شيء مسبق ، ومن كل الآراء المشتركة ، ورفض الرؤى الشعرية القديمة للعالم ، ورفض الظواهر الثابتة التي تظل هي هي ، وهمد المقولات التقليدية في تحديد الشعر وكتابته .

وقد عرضت هذه المبادئ حركة مجلة « شعر » لعنة والاثام بمعاداة العروبة بدعوتها لهم اللغة المشتركة بين أهلها كلية ، واحلال

أهتك الستر عن غد السرطان - خربة » :

(من قديم الزمان - وأنا أضع التبغ والماز - أحب الخمر
والشباب - والشفاة التي تقبل ماري - ماري التي كان اسمها امي -
خاترة كالجرب - سفراء كيوم طويل غائم احبها ، اكره لحمها المشبع
بالهمجية والعطر - اربطي عند غيبتها كالفلام - وفي صدري رقبسة
نزمنة - شتهي ماري كجثة زرقاء - تختلج بالحلي والذكريات » .

(من قديم الزمان . انا من الشرق - من تلك السهول المفضاة
بالشمس والمقابر - أحب التسكع واتشاب الجميلة - وبدي تلمس عنق
الزارة البازدة - وبين اهدابها العمياء المم دموا قديمة تذكركني بالطر
- والعصافير الميتة في الربيع - كنت ارى قارة من الصخر - تسهق
بالالم والحرب - والاذرع الهانجة في الشوارع » .

ولن يصير قصيدة النثر في نظري انها بعض نماذجها كتبت بدون
ان تهتلى رؤوس اصحابها بالافكار على حد ما يقوله محيي الدين محمد
او ان كاتبها امتلا وجدانهم قبل امتلاء خيروتهم ، او ان الموسيقى فيها
لا تستجيب لايقاع التجربة ، وانها اتصفت بكثير من العبث والحسام
واللاوعي والتخيل والفوضى . . . فقوضاها من النوع التحريري الفاعل
الذي هو حال طبيعية في مرحلة الانتقال من الجمود والتخجر الى
البقطة والنهوض ،

٦ - نشرها غدا من المجموعات الشعرية والكتب النقدية التي
يمكن عددا دغائم لما قام من العمارات الشعرية وايحاء بليقا بمنأخ
تلك المرحلة من حياة الشعر اللبناني التي ردت اليه فيها العافية بعد
عشرين عاما قضاها بداء القرس ،

ولا أدري اذا كان القارئ يقدري لسياني وأنا أؤرخ الحركة ذكر
أميرين حدثا في قلبها وهما :

١ - اغراض الشاعر خليل حاوي عن تيارها بسبب اختلاف وجهة
نظره عن وجهة نظر اقطابها في ما يتعلق بوظيفة الشعر وبالوقف الذي
يقفونه من حضارة العرب وتراثهم ، هو يؤمن بالتراث ، ويحاول
الانطلاق مما يراه عناصر حية فيه ، ويعتقد ان كل نهضة شعرية في
امة ما تحمل تراثا شعريا عريقا متركما لا بد لها من العودة الى الينابيع

الاصيلة التي كانت مصدر كل نهضة في الماضي . . ويستندرك بان هذه
العودة تختلف عما يدعى بالعودة الى السلفية الشعرية ، كما يؤمن
بوظيفة الشعر الذي ليس غرضه في نظره مجرد تحقيق الابداع
الشخصي بقدر ما هو احداث نهضة عامة واشراك الآخرين بتجاوزيه ،
ولا يرفض الحضارة العربية كما يفعلون ، ويدلي بوجهة نظره في الرفض
الذي له عنده مضمين يجب ان يفرق بينهما الشاعر الحديث : المعنى
الاجابي ويتضمن رفض كل ما هو علة او مظهر من مظاهر الانحطاط
والانطلاق من العناصر الحية في الحضارة ، والمعنى السلبي الذي
يتجلى في رفض الحضارة العربية كلها من قبل شاعر ناشيء يجهل
ما تنطوي عليها من قيم ذات اصاله ويرفضها لا لانه يعامل معيارا اصيل
الحكم عليها ، وانما ليقلد شعراء غربيين قالوا بالرفض » :

٢ - هجر ادونيس الذي عدل عن استمراره منتظما في صفوف
جماعة مجلة « شعر » وفتح تيارا لحسابه حين وجد ان تطوره قد
فاق تطورهم ، وان هذا التطور يقتضيه ان يستعيد هويته العربية
ويعلم ارتباطه الكياني بالعرب وجودا ومصيرا .

ان اواخر الستينات كانت المنطف الذي بدأ به الشعر العربي
ياخذ طريقه نحو تجارب جديدة مستمدة من الظروف التاريخية التي
قد احاطت به على اثر هزيمة حزيران ، ومن الوعي الافضل للوجود ،
والفهم الاعمق لازمات اهله التي اخذ جيل الشباب يدركها ويطمح الى
التعبير عنها تعبيرا يتجاوز فيه اساليب الاجيال التي سبقته . وبولادة
هذا الجيل انتهى دور مجلة « شعر » ليأتي دور مجلة « مواقف » في
لبنان ومجلة ٦٨ في مصر ومجلة الشعر ٦٩ في العراق ،

وقد يكون مفيدا ان اقول ان حركة الشعر الحديث كانت قبل
هذا التاريخ قد خسرت بوفاة السياب وتوقف نازك نشاط رائديسن
كبيرين من روادها ، ولكنها عادت فعوضت عنهما بكسب الفيتوري الذي
انضم الى جبهة العاملين في حقلها ، ونزار قباني الذي اتخذ من
اشكالها المتحررة وعاء لمضمونه الخاص ، وبقي التنافس الحاد بين
السابقين وبين اللاحقين الذي أسفر عما يمكنني تسميته الشعر
التكاملي الذي تتميز به الحركة في واقعها الراهن .
- التتمة على الصفحة - ٦٩ -

نحو

نظرة نقدية للمجتمع

تأليف هربرت ماركوز
ترجمة ادوار الخراط

السلطة العائلية ، والاجتماعية ، والسياسية ، وتاريخ هذه السلطة وبنائها ونتائجها القمعية الرهيبة
- تلك هي الموضوعات التي يتناولها الفيلسوف هربرت ماركوز في هذا الكتاب الذي يعد من احداث مؤلفاته .
وسواء كان الامر يتعلق بمفهومه الخاص للماركسية ، هذا المفهوم الذي يعارض به مفهوم التوسر ،
او بفكرة « المجتمع الكبير » التي اطلقها جونسون في الولايات المتحدة عام ١٩٦٤ ، او بالدراسات الاكثر
كلاسيكية عن « كانت » و « هيغل » ، فالمؤلف يحرك في كل صفحة دياكتيكة الصارم .
ان هذا الكتاب يشرح شرحا اوفى فكر « معلم الرفض العالمي » ومنهجه .

يصدر قريبا

حركة الشعر العربي الحديث

بقية المنشور على الصفحة - ٢٢ -

الحركة في واقعها الراهن

الذي يرصد شعر الحركة الحديثة في مسافها الأخير منذ حزيران المشؤوم وفي واقعها الراهن ، تطالعه الظواهر الثلاث التالية :

١ - ظاهرة عودة الالتزام :

وهي الظاهرة التي يعبر عنها الشعر الذي انفجر في الارض المحنلة نتيجة شعور حفنة من الشبان بوطاة الظلم الطارىء الذي انصب عليهم ، وعلى اثر تمسادي اسرائيل في مزاوله عمليات القهر والاغتصاب والاستيطان ، ومحاولة محو الانتماء القومي لهؤلاء الشبان وجميع ابناء شعبهم ، مما خلف روح المساومة عندهم ، وقد عبروا عن هذه الروح بقصائد غلبت عليها النزعة الواقعية التي سادت الشعر في الخمسينات متأثرين بالسياب في المرحلة الثانية من حياته وبالبياتي الذي كان زعيم الشعر الواقعي الجديد في تلك الفترة .

ثم جاءت هزيمة حزيران وما صحبها من وقوع الامة العربية وجميع جماهيرها في مهاوي اليأس ووهيدات الانهيار ، فكان لذلك ردود فعل قوية في نفوس شعراء الارض المحنلة الذين شعروا كما لو ان القضية باتت تعنيهم وحدهم ، فهبوا وفي طبيعتهم محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد ينظمون شعرا ذا نكهة خاصة اتخذ في الاغلب صورة الشعر الحر كما ظهر في العراق واغتنى بمثل مضامينه التي كانت سائدة يومذاك واكتسب صفات جديدة لعل ابرزها صدق التجربة وخصوصيتها والروح والصفاء اللذان يميزانها وبناء القصيدة على نسق الشعر الشعبي .

ويمكنني القول وأنا أتكلم عن الحركة في مسافها الزمني ورحلة تطورها ان شعر الالتزام عاد الى البروز مرة ثانية وحقق على أيدي اصحابه الجدد من ابناء فلسطين مهمة القيام بالدور الذي تفرض عليه المرحلة التاريخية ان يقوم به وهو ايقاظ الشعب الفلسطيني وتعميق وعيه على هويته الوطنية وابرز تراثه وملامحه الشخصية في شعر يرتفع عن مستوى العويل والصراخ والامتلاء بالحقد والنزعة الشوفينية ليصبح شعرا يتصل بالانسان ويتجاوز ارتباطه بقضيته القومية الخاصة الى الارتباط بقضايا البشر جميعا ويلتقي فيه وعي العقل والعاطفة معا ويستمد من العقيدة التي يؤمن بها ، وهي العقيدة الاشتراكية ، روح الامل والتفاؤل والمزاج المستبشر الدائم الذي يؤمن بيقين النصر في النهاية ايمانه بالحس التاريخي وانتصار عدالة الانسان فيه .

ومن هنا فان هذا الشعر قد قام بنور اللحن المواسي للجماهير العربية التي فقدت صوابها على اثر الكارثة ، وكان له صدى في شعراء نازحين آخرين التقوا معه في ما بشر به امثال وليد سيف ومعين بسيسو واحمد دجسور وخالد ابو خالد ومحمد القيسي ومي الصائغ وغيرهم .

٢ - ظاهرة الشعر التكاملي التجريبي :

الذي تطور اليه شعراء جيل الخمسينات أنفسهم ، أدونيس وخليل حاوي وصلاح عبد الصبور وسعيد يوسف المتجاوز نفسه باستمرار ومحمد الفيتوري وعبد الوهاب البياتي وبلند الحيدري ومحمد

سعيد الصكار وعبد الرزاق عبد الواحد وصلاح احمد ابراهيم ، في ما أنتجوه من شعر في الآونة الاخيرة ، والشعراء الذين جاءوا بعدهم امثال ميشال سليمان ومهران اسيد ومحمد عفيفي مطر ومحمود درويش في آخر انتاجه وخليل الخوري ومحمد ابو سنه وامل دنقل وكامل ابوب وفؤاد رفقة الذين عاشوا مثل سابقهم احداث ما بعد الستين وما رافقها من تناقضات أدت بهم الى هذا الاتجاه التكاملي الذي يأخذ فيه الشعر افضل ما في المدارس الاخرى فيعدل عن الشرح والتفسير ويتجه شأن الرمزيين نحو التركيز ، ويسرف في التصوير على طريقة شعراء المدرسة التصويرية ويقترب من لغة الحياة اليومية ، ويستخدم النهج الاليوتي وهو النداعي الحر فسي المعاني والشروود الذهني وحشد الرموز والاشارات التاريخية والاسطورية المنوعة ، وتتمازج فيه عند بعضهم الرومنطيقية مع الواقعية والشعر السريالي بالشعر الوجودي ، ويفرق في الصوفية ويعاني صاحبه قضية مصيره كعربي ومصيره في الوقت نفسه كإنسان محاولا تجاوز انتمائه السياسي المرحلي الى انتماء اوسع الى الاجيال كلها ، منتقلا في موضوعاته بين القضايا اتقومية والانسانية وقضايا الثورة والتحرير والالتزام واثارة مشاكل الوجود الميتافيزيقية كالوت والعبت والعدم والشعور بفقدان الجدوى وجهل المصير .

وكان اول من بدأ هذا النوع من الشعر المرحوم بدر شاكر السياب في المرحلة التمهيدية التي انفصل فيها عن الحزب الشيوعي ووثق علاقته بجماعة مجلة « شعر » وكان في حينها يعاني التمزق بين التزام الابداع وتوظيفه للقضايا الوطنية ، ثم أعقبه الشعراء المذكورون سابقا الذين أعانته الظروف التي كانت تضطرب بها مجتمعاتهم على ان يسيروا في هذا الاتجاه ويعودوا منكفئين الى قاعدة الذات ويحروا في باطنها منصرفين الى نوع من التجارب جديد يتسم بالطابع الفكري قوامه عند بعضهم : التعبير عن صراع الانسان في داخله وشعوره بالعيشية والبطلان ، ومواجهة الانهزام امام الواقع والهرب منه الى عالم متخيل موهوم ، وهو ما يبرز عند شعراء الرؤية الميتافيزيقية وشعراء الرقص الوجودي وشعراء الفن للفن .

وقوامه عند بعضهم الآخر الشعور بالتمزق بين تجربة العصر وبقظة المصير ومعاناة قضية الحرية في عالم غير حر ، والاضطراب بين عوالم ثلاثة : عالم الشعر الفردي وعالم مجتمعه المحلي والعالم المعاصر ككل . وقد طغى في السنوات الاخيرة جماعة الفريق الاول الذين اصبح ادونيس قائمهم الى نوع من الشعر يسميه شعر التجاوز والتخطي او شعر التحول الذي يرفض الحياة السائدة ويعلن عن ارادة تغييرها ، وينزل من فضاء الاعمقوت ومناهات الجنون حيث اختراع الطرق . وساعرض للحديث عن هذا الشعر في كلامي على الظاهرة الثالثة وقبل ان انتقل الى ذلك أود أن ألفت الانتباه الى شاعر فد ظلت له خصوصيته وظل على رغم اتخاذ شعره صورة الشعر الحر يفني خارج سربه باستقلالية تميزه عن الآخرين هو الشاعر نزار قباني .

لا نكران في ان نزارا قد يعاب في معظم قصائده بالرؤية الخارجية للاشياء وبخاصيتي الشكلية واللفظية وما اليهما من خصائص شعر ما بين الحربين ، الا ان احدا لا ينكر ان شعره مقتطع من لحم الحياة ومشتبك بتفاصيلها اليومية وانه ذو رسالة فيه تؤمن بشعبيته وباهمية ايصاله الى اكبر عدد ممكن من الناس ، ومن هنا هذا الاتحاح عنده على عدم تجريده من طبيعة البشر وعلى عدم تقنيته او الياسه مسوح الانبياء والحرص على نظمه هكذا بيئنا مكشوفنا يقفز مباشرة الى القلب ويركض في دروب الحس .

٣ - ظاهرة الرفض والتمرد على جميع المدارس وعلى جميع الأشكال :

وهي الظاهرة التي حملت رايتها من سما في العراق جيل الستينات أمثال فاضل الزاوي وصادق الصائغ وسركون بولص وسامي مهدي وفوزي كريم في بعض نتاجهما ، ثم علي جعفر العلاق ومن يمكن ان نسميهم في لبنان جيل السبعينات أمثال سليم بركات وسمير الصايغ وسائر الذين تحتضنهم مجلة « مواقف » من أبناء العربية كفز الدين المناصرة ومحمد عبد آحي ومؤيد الراوي وكمال ابو ديب وهم فئة من الشبان فتحوا أعينهم على عصر الهزائم وذل الانكسارات وحقنوا بمصل الرفض الوجودي والادب اللانتمائي والمواقف العبيثة والنهلستية والرؤى التدميرية فطالعونا بمجموعة من القصائد منحصلة من كل هذا الذي ذكرته ، مضافا اليه تحويل القصيدة الى هذيان وحلم شاسع يتخطى مناطق النثر والذهنية الصارمة ويختلط فيه الشعر بالارقام بالنثر بالاعلانات وبالكلمات الاجنبية وبالملصقات وباستخدام اللغة القبيحة . واطلم بعضهم كحمزة عبود وشوقي بديع ومحمد العبد الله وشربل داغر اذا اصدرت الحكم عليهم بمثل هذه المجالة ، وقبل ان تتحدد ملامحهم تمام التحديد . ولذلك فاني اترك التحدث عنهم باسهاب الى وقت آخر لاشير الى سرب من ابناء جيلهم نشأ في الظروف نفسها التي نشأوا هم فيها ولكنه بعكسهم يتفادى ان يفسح في تيار الرفض السلبي والتقليد الكسيح لصرعات الشعر العربي وطلب ان تطور الفتعل تحت شعار التجاوز لكل نهائية او حتمية والرغبة في فتح آفاق اخرى وطرق تعبيرية جديدة ، ويخلق نتاجه مبرا الى حد ما من فقدان

التوازن بين الفكر والشكل الفني المستجد ، وينطلق من الواقع وحاجات الانسان ليفن الموقف المسؤول دون ان يفصل بين دوره كشاعر ودوره كإنسان بحاجة الى اكتساب هويته الشخصية من واقعه الفردي وواقعه المحلي وواقعه العالمي وظروف المرحلة التاريخية التي تمر بها أمته وسائر الامم الراغبة في التحرر . اذكر من هؤلاء الشعراء العراقيين حسب الشيخ جعفر وخالد علي مصطفى ويوسف الصايغ ومالك المطلبي وحמיד سعيد وعبد الكريم معله وحמיד الحاقاني وموفق محمد وباسين طه الحافظ واللبنانيين حبيب صادق وحسن عبد الله ومحمد علي شمس الدين والسوريين علي كنعان ومحمد عمران ومملوح عدوان وفايز خضور والبحرينيين قاسم حداد وفيصل السعد وعلوي الهاشمي وعلي خليفة والمصرية مليكة العاصمي .

واني وانا اهتم هذه الدراسة لشاعر بان الحاح الوقت علي بالسرعة في انجازها وحرصي على توسيع رقعة الموضوع صرفاني عن ذكر الشواهد واثبات التطبيقات والصادر والمراجع في الهوامش ، وواقفاني مرات كثيرة في الادلاء باحكام وتعميمات غير كافية مبرراتها ، وجعلاني في بعض الاحيان لا ازواج بين التسجيل التاريخي للظواهر ومسحها خارجيا وبين تحليلها من داخلها تحليلا فنيا وهو ما سوف استتركه في كتاب يصدر عما قريب ويتناول هذا الموضوع ويفصله على النحو الذي يضمن للقارئ فائدة اكبر من مطالعته .

احمد أبو سعد

بيروت

دار الآداب تقدم

ترجمة ادوار الخراط

هربرت ماركوز

نحو التحرر

فيما وراء الانسان ذي البعد الواحد

فيما وراء الانسان ذي البعد الواحد ، كيف السبيل الى تحرر الانسان ؟ هذه هي المسألة الاساسية التي يعمل عليها هربرت ماركوز عناصر الاجابة في الدراسة الراهنة الموضوعية بين يدي القراء . وهو يرى ان الطريق الجديدة المتاحة اليوم تمر بالاعتراض والاحتجاج الدائمين . ففي قلب المجتمعات المتقدمة تكنولوجيا ، سواء كانت اشتراكية ام رأسمالية ، يتيح الاحتجاج وحده تجديد حاجات البشر وارضاءها برفض قواعد « اللعبة » القمعية . وبعد ان ينتقد ماركوز الانظمة الاجتماعية الحالية ، يفسح في هذا الكتاب الهام الذي يعتبر تمة لكتابه « الانسان ذو البعد الواحد » و« فلسفة النفي » مبادئ عمل سياسي بناء ..

صدر حديثا

٢٠٠ ق . ل